

الحقبة التأسيسية للتشیع الاثني عشري: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

علي زهير هاشم الصراف^١

المُلخَص

٣١

خَلَّفَ المستشرقون أسلاف الباحثين الغربيين حالياً تراثاً لا بأس به من الدراسات
المشرقية والإسلامية إستفاد منه هؤلاء الباحثون، فالإستشراق تحوّل إلى مجالات علمية
بحة أصبحت تدرسها الكليات ومراكز الأبحاث، لكن تلك الأبحاث بقيت تخدم أهداف
ومصالح الغرب الإمبريالية في بعض الموارد، إلا أن الكثير منها حالياً تابعة عن وجدان
باحثين غربيين أحرار يصنّفون الكتب والأبحاث من أجل إرضاء أطماعهم البحثية
واستكمالاً لمسيرتهم العلمية.

ومن جملة الحقول البحثية المهمة التي كتب فيها الباحثون الغربيون الكثير من هذه
الدراسات، هي الدراسات الإسلامية والحديث الشريف منها بالتحديد سيّما الحديث
الشيوعي. ومن هؤلاء الباحثين المعاصرين أستاذ جامعة إدينبرا الدكتور أندرو ج. نيومان
الذي شهدنا له العديد من المساهمات في حقل الفكر الإمامي وبالتحديد دراساته في
الحديث الشيوعي وجهود علماء الإمامية في العصر الصفوي وتحديداً في موضوع جدلية
الدين والعلماء مع السياسة ورجالها.

١. أستاذ مساعد، جامعه الكوفة - مركز دراسات الكوفة. aliz.hashim@uokufa.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٩٨/٠٣/٢٠ تاريخ قبول البحث: ٩٨/٠٦/١٩

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

وما نهدف إليه من دراستنا هذه هو نقد كتاب الباحث نيومان الهامّ عن تاريخ الحديث الشيعى فى القرون التأسيسية للمذهب الإمامى وأثر النهجين الفكرين الهامّين عند علماء الإمامية وهما: النهج الأصولى والنهج الإخبارى الذى يمثله قم والقميون آنذاك فى تدوين أقدم ثلاثة مجاميع روائية عند الشيعة الإمامية: المحاسن للبرقى (توفى بين ٢٧٤-٢٨٠ هـ / ٨٨٧-٨٩٣ م) وبصائر الدرجات للصفار القمى (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) والكافى فى علم الدين للكلينى الرازى (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) وفق منهج التحليل التاريخى والإستقراى للنصوص التاريخية والروائية سيّما من تلك الكتب.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، التشيع، الحديث الشيعى، أندرو ج. نيومان، المحاسن، بصائر الدرجات، الكافى.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

٣٢

نبذة عن الدراسات الاستشراقية فى التشيع

لم تكن سيرة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم الشيعة بعيدة عن متناول أفلام المفكرين الغربيين وتحديدًا الباحثين ومؤسساتهم العلمية الاستشراقية؛ فقد اهتموا بهذا المجال وكتبوا فى هذا الحقل الكثير من الكتب والمقالات ودوائر المعارف وحققوا الكثير من النصوص، وبدلوا الجهود فى التعرف على شعائر الشيعة وطقوسهم وتحملوا المخاطر للسفر إلى المدن الشيعية المقدّسة ومكثوا فيها سنوات. فهم على عدّة فئات ومشارب فكرية، كانوا قديمًا مبشرين بالمسيحية أو قادتهم مصالح بلادهم الاستعمارية لمعرفة الشرق والإسلام. وفى هذا المجال كانت الصبغة العامة بين هؤلاء هى انتمائهم الدينى والإدارى للكنيسة المسيحية بمختلف مذاهبها وكراسيها وفيها بعد أخذ هذا الفن يتطوّر إلى علم يدرس ويدرس ويبحث فى المؤسسات الأكاديمية والعلمية الغربية.

وعند دراستهم لتاريخ وحضارة المسلمين والفرق الإسلامية سيّما التشيع نجد أنهم من

وجهة نظر الفكر الشرقى الإسلامى العام كانوا يهدفون إلى:

١- إبراز حالات الانقسام والتجزئة بين صفوف العرب والمسلمين سياسياً وفكرياً وديناً.

٢- الصبغة التبشيرية في الاستشراق وعند البعض من المستشرقين كانت تهدف من وراء دراسة التشيع إظهار أثر الديانة المسيحية ومعتقداتها على العقيدة الشيعية.

٣- أما المستشرقين اليهود والصهاينة فإن الهدف من توجهاتهم لدراسة التشيع كان إبراز الأثر التوراتي على معتقدات الشيعة.

٤- والمستشرقون عموماً يهدفون إلى توسيع الهوة بين الفرق الإسلامية، دينياً وعنصرياً، وبالأخص بين الشيعة والسنة، بما هو نافع للسياسة الدولية وللبلدان التي ينتمون إليها قومياً أو سياسياً.^١

فالحقيقة هي أن بعض من أوائل دراسات المستشرقين عن الإسلام والتشيع اتسمت بهذه الصفات وكانت تهدف لخدمة هذه الغايات، فهناك من اختص في دراسة عقيدة غيبة الإمام الحجة عليه السلام أو في الفقه الإمامي وأصوله أو ممن تفرغ للتأليف عن واقعة الطف الخالدة أو درس أدوار الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في تدوين الحديث أو من يتحرى عن الرواية الشيعية في كتب التاريخ، أو من يدرس دور الإمام الحجة عليه السلام في المجتمع قبل عصر الغيبة الكبرى، أو من يتفحص الجوانب الفلسفية في الفكر الإمامي، أو دور المجتهد عند الشيعة الإمامية وقضية الولاية الدينية، أو من يقرأ بين السطور عن علاقة التشيع والثورة والمعارضة، أو من يدرس سير أئمة أهل البيت عليهم السلام وما إلى ذلك من المواضيع الكثيرة التي هي في صلب العقيدة الشيعية؛ فإننا لا نرى في مثل هذه الاختصاصات حيزاً كبيراً لمثل تلك الأجوبة التقليدية المذكورة آنفاً، بل إننا نجد أن هؤلاء الباحثين الغربيين قد سبقوا نظرائهم ممن هم في صلب هذه العقيدة الحققة في بحث مثل هذه المواضيع وأنهم

١. عبدالجبار عبدالجبار، التشيع والاستشراق، ص ١٤.

٢. م. ن.، ص ١٤-١٥.

◆ الحقبة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

كشفوا لهم مناهج البحث العلمى فيه، وإن كانوا قد أخطئوا فى البعض أو الكثير من استنتاجاتهم العلمية.

لكن بمرور الزمن وتحديدأ فى القرن العشرين أخذ العمل الإستشراقى والدراسات الناتجة عنه تتوسع كمأ وكيفأ وأصبح العمل الإستشراقى ضخماً وأصيلاً فى كثير من مفاصل البحوث المختلفة والتحقيقات والدراسات بتشعب مناهج البحث التاريخى والعلمى فى أوروبا وأمريكا، ليس بالنسبة للتاريخ الشرقى فحسب إنما فى جميع العلوم والتواريخ الشرقية منها والأوروبية والأمريكية أيضاً، وتنامت حركة النقد والجدل العلميين بناءً على ما وفرة المصادر الجديدة المكتشفة عن مناحٍ شتى من التراث العربى والإسلامى أدت بالضرورة إلى دراسة هذا الموضوع أو ذاك وظهور ردّ فعل بدراسة نقدية فيها إضافات واستنتاجات، وأن البعض من الدراسات والتحقيقات الاستشراقية الكثيرة جداً عن جوانب علمية وفلسفية وفنيّة بحتة، لا يظهر فيها دور سلبى لدوافع سياسية وتبشيرية كالتى كتبت عن الرياضيات والطب والكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة والنبات والفلك والهندسة والبناء والتكنولوجيا وجوانب اقتصادية دقيقة كالضرائب والتجارة والصناعة والزراعة، والانفتاح علمياً من قبل الغربيين على مناهج بحث الآخريين وما توصلت إليه إسهاماتهم لا سيّما بالنسبة إلى العلماء والباحثين غير الأوروبيين.

فمن إيجابيات هذا الحراك العربى العلمى فى الكتابة عن الشرق والإسلام والتشيع هو إثارة هذه الدراسات والتحقيقات فى الباحثين العرب والمسلمين بحيث تحفّزهم على الاستجابة العلمية وفق مناهج بحث علمية وموضوعية؛ فتشعب الدراسات الاستشراقية مركزيتها قد أثرت كثيراً بل صارت أنموذجاً يحتذى به لدى العديد من الباحثين العرب ممن تتلمذوا فى أوروبا وأمريكا فصارت اهتماماتهم وأهدافهم مقارنة لاهتمامات وأهداف المستشرقين.^١

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

الدراسات الاستشراقية في الحديث الشريف

فالمستشرقون ألقوا في موضوعات كثيرة من تراث الإسلام سيّما الدراسات في الحديث الشريف. فقد ركّزوا على هذا الموضوع وأثاروا العديد من الأفكار وقدموا الكثير من الطروحات التي سرعان ما تركت أثراً على بعض الدراسات الإسلامية مخلفة وراءها مدرسة جديدة بدأت بالتكوّن في الداخل الاسلامي.^١

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

ولعلّ أقدم من تطرّق لمعنى الحديث هو المستشرق الفرنسي هربلو^٢ صاحب دائرة معارف عن الشرق بعنوان «المكتبة الشرقية» وفي بحث نشره فيها قائلاً: «الحديث، القصة، الخبر المسموع المقول، أحاديث الرسول، الحديث عن أشياء قاله الرسول الزائف، وقد نقل من فم إلى فم من شخص إلى آخر».^٣ ومن الملاحظ هنا أنه لا يزال يتمتع بأفكار مسمومة كانت سائدة في الوسط العلمي الأوروبي آنذاك المأخوذ من النهج والكفر الكنسي الديني. وزعم بأن المحمدية وهي تسمية مبتدعة يراد منها الإسلام مستقاة من التلمود، واليهود الذين دخلوا في الاسلام.^٤

٣٥

وبرزت من بعده أوائل الدراسات الغربية عن الحديث والسنة النبوية على شكل مقالات شكّلت مداخل في دائرة المعارف الإسلامية^٥ التي كتبها ثلثة من المستشرقين بلغاتهم الإنجليزية مهمة والفرنسية والألمانية وسائر اللغات الأوروبية الأخرى. وهذه المداخل هي:
الإجازة: ج ١، ص ٤٣٣-٤٣٤؛ الآحاد: ج ١، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ الأصحاب، ج ٢، ص ٢٣٧-٢٣٩؛ الأصول: ج ٢، ص ٢٦٥-٢٩٠؛ الحديث: ج ٧، ص ٣٢٠-٣٤٧؛ ج ١٦، ص ١٥٨-١٥٩؛ السنة: ج ١٢، ص ٢٨١-٢٨٦؛ السيرة: ج ١٢، ص ٤٣٩-٤٥٥.^٦

١. حيدر حبّ الله، 'المستشرقون والسنة النبوية استعراض للشخصيات الأعمال والدردود'. مجلة المنهاج، العدد: ٥٨، السنة: ١٥، ٢٠١٠، ص ٥٢.

2. Herbelot (1635-1695)

٣. أكرم ضياء العمري، 'موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية'. مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد: ٨، السنة: ١١، ١٩٩٤، ص ٧٠.

٤. م. ن. والصفحة.

5. Encycloapedia of Islam, (2nd Ed).

٦. مهدي مهریزی، 'درآمدی بر مطالعات حدیثی خاورشناسان'. مجلة علوم الحديث، دانشگاه قرآن وحديث، العدد ٢٨، السنة: ٧، ٢٠٠٣، ص ٦.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندروج. نيومان؛ عرض ودراسة

فى هذه المداخل التى ذكرناها آنفاً هناك ثلاثة موارد كانت شائكة وفى صلب العقيدة الإسلامية بحيث استدعت الرد من قبل المترجمين. أولها مدخل «الأصول» الذى كتبه المستشرق جوزيف شاخ^١ ويقع فى ٢٥ صفحة وفى المجلد الثانى من الطبعة العربية. فقد تعرّض شاخ بمناسبة الحديث عن أصول الفقه لموضوع السنة النبوية والروايات وأبدى بعض الآراء فيها. وقام بنقدها الشيخ الأزهرى أمين الخولى بترجمتها، ثم عاد وأدرجها ضمن سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية مستقلاً فى ١٠١ صفحة لينشرها دار الكتاب اللبنانى.^٢

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

أما المدخل الثانى فهو مدخل «الحديث» الذى كتبه المستشرق ثيودور يونبول^٣ ويقع فى النسخة العربية فى ١٧ صفحة، تحدّث فيه عن موضوع الحديث وصفته، وعن نقد الحديث عند المسلمين، وعن تصنيف الحديث إلى أنواع وأصناف، وعن المجموعات الحديثية. كما أشار إلى الكتب الحديثية الخمسة عند الشيعة بإضافة لنهج البلاغة وقال إن الشيعة لا يأخذون إلا الحديث المروى عن على وأهل بيته عليه السلام، ثم تحدّث خامساً عن رواية الحديث وطرقها وأساليبها.^٤ هذا المدخل احتوى على مقاربتين غير صحيحتين: أولهما هى أن الحديث هو انعكاس لتوسّع الإسلام وتأثره بالثقافات الدخيلة والخلافات المذهبية داخل إطار الإسلام، والأخرى أنه اعتبر انشغال المسلمين بالأسانيد وعلم الرجال أمر ثانوى وأن الأصل بالنسبة للمسلمين كان نص الأحاديث ومادتها وليس الإسناد والرجال^٥ وقد علّق على هذا المدخل الدكتور أحمد محمد شاكر.^٦

٣٦

1. J. Schacht (1902-1969)

٢. حب الله، المستشرقون والسنة النبوية، ص ٦٩.

3. Th. W. Juynboll (1866-1948)

٤. م. ن. والصفحة.

٥. مهريزى، درآمدى بر مطالعات حديثى خاورشناسان، ص ٧-٩.

٦. حب الله، المستشرقون والسنة النبوية، ص ٦٩.

والمدخل الثالث الموسع الذى استدعى بعض الردود والمناقشات هو مدخل السيرة الذى كتبه المستشرق جورجيو دلافيدا^١ ويقع فى ١٦ صفحة من الطبعة العربية؛ فقد تطرّق فيه لتعريف السيرة وتكلم عن سير تطوّر كتابة السيرة والمغازى ومختلف الكتب التى صنّفت فى هذا المضمار وإن الباحث ليجد تناقضات كثيرة فى تعريفه للسيرة؛ فقد اعتبر المغازى والسير تطوراً لأيام العرب فى الجاهلية وأن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم فى أن يضعوا منشأ الإسلام فى كفة منشأ هذين الدينين قد شجعاهم على وضع تلك القصص التى حاطوا بها شخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم^٢. وقد علّق بشكل مفصّل على هذا البحث الشيخ أمين الخولى^٣.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

كمال توالى الدراسات المستقلة على شاكلة الكتب المختلفة التى تطرقت بعض فصولها لمفاهيم السنة النبوية ومصطلحاتها. فقد كتب المستشرق الإسكوتلندى السير وليم موير^٤ بين عامى ١٨٥٦-١٨٦١ م كتاباً بعنوان سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآخرأ بعنوان التاريخ الإسلامى وخصّص فصلاً فيه عن الحديث. وأصل الكتاب فى أربعة أجزاء بطبعات عدّة^٥. كما خصّص المستشرق النمساوى البريطانى ألويس شبرنجر^٦ فصلاً من كتابه عن سيرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى كتبه فى ثلاثة أجزاء ونشره عام ١٨٦١ م عن الحديث^٧. كما نشر المستشرق الألمانى لودولف كريل^٨ ثلاثة أجزاء من صحيح البخارى بين عامى ١٨٦٢-١٨٦٨ م وأتم نشر الجزء الرابع المستشرق يونبول عام ١٩٠٨ م. كما صنّف كتاباً بعنوان حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته^٩.

1. G. L. Della Vida (1886-1967)

٢. مهريزى، درآمدى بر مطالعات حديثى خاورشناسان، ص ٩.

٣. حب الله، المستشرقون والسنة النبوية، ص ٦٩.

4. W. Muir (1819-1905)

٥. العقيقى، نجيب، المستشرقون، ج ٢، ص ٤٩٢.

6. A. Sprenger (1813-1883)

٧. م. ن.، ج ٢، ص ٦٣٢.

8. L. Krehl (1825-1901)

٩. م. ن.، ج ٢، ص ٧١٦.

◆ الحقبة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

شهدت دراسات المستشرقين فى السُّنة والحديث تطوراً ملحوظاً فى القرن التاسع عشر الميلادى حيث قسّم المستشرقون حقول الدراسات الشرقية بصورة موضوعية.^١ وقد برزت ظهور فهارس للمخطوطات العربية سيّما تلك التى تصنّف فى الحديث. فمثلاً قام المستشرق الألماني فيلهلم أورد^٢ بوضع فهرس للمخطوطات العربية فى مكتبة برلين فى عشرة مجلدات جسيمة ووصف ما يربوا على عشرة آلاف مخطوط عربى تحوى كنوز الثقافة العربية وصفاً علمياً دقيقاً، منها مجلد خصّصه للمخطوطات الخاصة بالحديث.^٣

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

وكان وضع فهرس ألفاظ الحديث الوارد فى الكتب التسعة السنّية وهى: (صحيح البخارى، صحيح مسلم، مسند أحمد، مسند الدارمى، موطأ مالك، سنن الترمذى، سنن ابن ماجة، سنن النسائى، سنن أبى داود) بين عامى ١٩٣٦-١٩٦٩ من الأعمال الكبيرة للمستشرقين فى القرن العشرين والذى توسعت فيه أعمال المستشرقين فى حقول الترجمة والتحقيق والتحليل وكتابة الفهارس والمعاجم بشكل كبير.

٣٨

وهناك مستشرقون كانت لهم دراسات تأسيسية فى مجال الدراسات الحديثة نذكر فى هذه العجالة أهم هذه الشخصيات وما خلفوا من نتاج فكرى وعلمى.

١- إجناس جولدتسيهر:

يعتبر المستشرق المجرى إجناس جولدتسيهر^٤ الرائد الأول فى دراسة الحديث ونقده بالاستعانة بمنهج النقد التاريخى حيث توصل لنظرية تطور الأسانيد والمتون فى الفكر الإسلامى. لقد صارت دراساته دستوراً للمستشرقين من بعده وقليل منهم انتقد بعض آرائه أو عدلّ فيها، فالأكثريّة الساحقة اکتفوا بتعميق آرائه بإضافة براهين جديدة أو تعميمها على حقول جديدة.^٥

١. العمرى، موقف الاستشراق من السنة والسيره، ص ٧٠.

2. W. Ahlwardt (1838-1909)

٣. العقيقى، المستشرقون، ج ٢، ص ٧٢٠.

4. I. Goldziher (1850-1921)

٥. العمرى، موقف الاستشراق من السنة والسيره، ص ٧١.

ويمتاز جولدتسيهر بقراءته التاريخية للتراث الإسلامي، فهو يصرّ على الدوام على تفسير كل الأمور وفقاً لحراك تاريخي زمني، فالمذاهب عنده وليدة أوضاع زمنية وتفسير القرآن وفهمه نتيجة للتجاذبات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالمسلمين في القرون الأولى، والحديث النبوي صنيعاً للتيارات المتحاربة لمواجهة بعضها البعض، وقد فسّر تطوّر الفقه بأنه مجرد استجابة لتطوّر الأوضاع التي فاجأت العرب بعد الفتوحات، فردموا الهوة بخلق قوانين منحت شرعيتها بتغطية من نصوص دينية مختلفة برأيه.^١

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وقد شارك منهج هذا المستشرق، مؤلف الكتاب الذي تقدم له الباحث أندره نيومان، فبعد أن مهّد لدراسته بثلاثة فصول عن الوضع التاريخي والسياسي وتيارات الشيعة الفكرية في مدينتي قم وبغداد؛ ذهب ليحلل محتوى الكتب الروائية الثلاثة مورد بحثه وكان في جميع استنتاجاته لواقع الروايات الموجودة في تلك الكتب يلاحظ أنه يرجع أسباب تواجد الروايات إلى الخط الفكري السائد في مدينتي قم وبغداد وبعض الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية المؤثرة على أوضاع هاتين المدينتين بشكل عام؛ تلك الأوضاع التي أدّت إلى دعم نظريته القائلة بأن أحاديث هذه الكتب الثلاثة سعت إلى بلورة فكرة تقول بعدم الرجوع إلى أي مصدر غير المصادر السماوية (القرآن والسنة) التي كانت أحاديث الأئمة عليهم السلام النموذج الأبرز لتلك المصادر، تلك التي كانت تدعوا أيضاً إلى نفي أية منظومة تراتبية تقسّم طبقات المجتمع في سياق عملية هي إبداء الأحكام الشرعية المرتبطة بأعمال المجتمع اليومية.

٢- جوزيف شاخت:

اشتغل شاخت على عدّة محاور أهمها: دراسة المخطوطات العربية وتحقيق النصوص المخطوطة في الفقه الإسلامي والدراسات في علم الكلام وتاريخ العلوم والفلسفة عند المسلمين والدراسات في الفقه الإسلامي وهذا الأخير هو أبرز مجال عرف شاخت به، ومن

١. حب الله، المستشرقون والسنة النبوية، ص ٥٤-٥٥.

◆ الحقبة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

أهم أعماله فى هذا المضمار هو كتابه «بداية الفقه الإسلامى» الذى نشره عام ١٩٥٠. وكتب كتيباً صغيراً حمل عنوان: «مخطط تاريخ الفقه الإسلامى» وهو بدرجة ثانية من الأهمية بعد كتابه السابق الذكر، وقد نشر فى باريس بعد أن ترجم إلى الفرنسية عام ١٩٥٣.

يمتاز شاخت بالدقة العلمية والحرص فى عرضه للمذاهب الفقهية، ولم يشبهه جولدتسيهر فى أعمال التحليلات والفرضيات بقدر ما كان يتتبع الظواهر ويؤلف منها مشهداً متكاملًا، ومن هنا تركت أعماله بصماتها على دارسى الإسلام والتشريع الإسلامى.^١ وقد درس شاخت فى مؤلفه «أصول الشريعة المحمدية» كتابى «الموطأ» لمالك و«الأم» للشافعى، ثم عمّم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى فقال بنظرية «القذف الخلفى» لتفسير تطور الأسنانيد وقال باختلاق الجزء الأكبر منها وأن أقدم الأحاديث لا يرقى إلا ما قبل سنة ١٥٠ هـ^٢

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

٤٠

٣- ليونى كايثانى^٣:

من أبرز المستشرقين الإيطاليين، من أسرة من كبار الأمراء فى إيطاليا الحديثة. من أهم أعماله ما كتبه مطلع القرن العشرين عن دراسة التاريخ الشرقى: سيرة الرسول ﷺ (طبع فى ميلانو سنة ١٩١٤) وعن تاريخ الإسلام كان ينوى كتابة موسوعة تاريخية تشتمل على أحداث العام الأول الهجرى إلى عام ٩٢٢ هـ سنة فتح مصر على يد العثمانيين، فوَقعت الحقبة الأولى وهى من عام واحد إلى ١٣٢ هـ فى خمسة مجلدات من ١٧٣٠ صفحة (طبع فى باريس وروما سنة ١٩١٢-١٩١٨). وكتب كتاب «حوليات الإسلام» من المجلد الخامس إلى العاشر، فتضمن أحداث الأعوام ٢٣-٤٠ للهجرة فى ٣٢٠٦ صفحات (طبع فى ميلانو وروما سنة ١٩١٢-١٩١٤، ١٩١٨-١٩٢٦).^٤

١. م. ن.، ص ٥٧-٥٨.

٢. العمرى، موقف الاستشراق من السنة والسيرة، ص ٧٢.

3. L. Caetani (1869-1926)

٤. العقيقى، المستشرقون، ج ١، ص ٣٧٣.

وعن السنة والحديث ذكر في حولياته أن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأنها استعملت ما بين عروة بن الزبير وابن إسحاق، وأن عروة لم يستعمل الإسناد مطلقاً، وابن إسحاق استعمله بصورة ليست كاملة.^١ هذه نبذة مختصرة عن سير تطور كتابة المستشرقين في السنة النبوية والحديث السنّي؛ أما عن الحديث الشيعي فقد أسهب المؤلف في مقدمته فلا حاجة للتكرار.^٢

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

قراءة نقدية في كتاب "الحقبة التأسيسية للتشيع الاثني عشرى حوار الحديث بين قم وبغداد

وبعد هذا التقديم عن تاريخ الدراسات الاستشراقية في التشيع والحديث الشريف فلنعد ونرى بماذا يمتاز كتاب الباحث أندره نيومان وما هي نقاط ضعفه ولنجرى بعض النقد لأهم ما ورد فيه من آراء وتظير عند نقده وتحليله لأحاديث الكتب الروائية الشيعية الأوائل. فكتابه هذا الذى نحاول نقده نُشرَ تحت عنوان: "The Formative Period of Twelver Shiism Hadith As Discourse Between Qum and Baghdad" والذى سيطراً عليه بعض التغيير بطبيعة الحال عندما تطبع ترجمته بسبب التسويق ومخاطبة الذهن العربى؛ فترجمته الحرفية الكاملة تكون هكذا: "القرون التأسيسية للتشيع الاثني عشرى، جدلية الحديث بين قم وبغداد"، وقد نشر من قبل الناشر البريطانى "كورزون" عام ٢٠٠٠م.^٣ والمؤلف هو أستاذ جامعى بريطانى يدرّس فى جامعة إدينبرا بإنجلترا، وقد جاء كتابه هذا مكملاً لجهوده فى أطروحته الدكتوراه عن جذور التيارين الأصولي والإخباري الصادرة عام ١٩٨٦ م كما ذكر هو^٤ وله العديد من البحوث والكتب المنشورة بلغ عددها

١. العمرى، موقف الاستشراق من السنة والسيرة، ص ٧٣.

٢. ينظر:

Newman, Andrew, The formative period of Twelver Shiism Hadith as discourse between Qum and Baghdad, pp. xiii-xxviii.

3. The Formative Period of Twelver Shiism Hadith As Discourse Between Qum and Baghdad, Corzon, Richmond, Surrey: U.K.

٤. ينظر، p. xi، Op. cit.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

تسعاً وعشرين عنواناً عن الفكر والعقيدة الإمامية وتاريخ علمائها سيما فى العصر الصفوى وما كان فيه من جدل بين الدين ورجاله والدولة ورجالها وبعض الكتابات فى الطب الإسلامى المروى فى بطون كتب الحديث عن أهل البيت عليهم السلام.

وإذا ما لخصنا محتوى هذا الكتاب فى سطور نقول إنه يتضمن الكشف عن المناهج الفكرية لدى علماء الشيعة الاثنى عشرية سيما المحدثين والفقهاء فى القرون الهجرية الثلاث الأولى وهى من أهم الأزمنة التى مرت بتاريخ التشيع الاثنى عشرى التشريعى - كما هو حال سائر المذاهب الإسلامية - فقد عنوانها بـ "المدة التكوينية" لهذا المذهب، مع التركيز على ظروف جمع الحديث فيها. ومحور البحث فى هذا الكتاب هو دراسة ظروف تدوين ثلاثة من أوائل المجاميع الروائية الشيعية: كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى (المتوفى بين عامى ٢٧٤-٢٨٠ هـ / ٨٨٧-٨٩٣ م) وبصائر الدرجات لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمى (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) والكافى فى علم الدين لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، فهذه المصنّفات ظهرت فى عصر الغيبة الصغرى فهى من أقدم المصنّفات الروائية الشيعية التى وصلتنا، وقد ركّز الباحث فى دراسته لروايات هذه الكتب على البعدين الكلامى والعقائدى سيما معرفة الله (عزوجل) ومباحث الإمامة ومقامات الأئمة عليهم السلام. وقد سبق تناوله لروايات هذه المجاميع الثلاث مقدمة تمهيدية هامة عن تاريخ الدراسات الغربية فى التشيع مع التركيز على تناول الحديث الشيعى من قبل هؤلاء الباحثين وثلاثة فصول عن تاريخ الفكر الشيعى وتطوره فى الوسط العلمى مع ذكر الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى فى كل من مركزى بغداد وقم العلميين محاولاً تبين أثر هذه الأوضاع على اختيار مصنّفى هذه المجاميع الروائية الثلاثة لتلك الروايات التى جمعت فى مجاميعهم باعتبارهم ممن تأثر بهذين البيئتين العلميتين الهامتين فى المسار الشرعى الاستنباطى عند الشيعة الاثنى عشرية.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

وكان كتابه هذا قد ترجم في إيران إلى الفارسية من قبل السيد صادق الحسيني الإشكوري وطبع في سلسلة أعمال مؤتمر أقيم في مدينة قم المقدسة عن السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سنة ٢٠٠٦ م، فكانت ترجمة سريعة غير دقيقة. ثم ترجم في إيران مرة أخرى فريق من المترجمين الخبراء في مؤسسة بحثية أهلية في مدينة قم أيضاً تدعى "مؤسسه شيعه شناسى" وقد صدرت عام ٢٠٠٧ م، فكانت ترجمة دقيقة منضبطة بخلاف الترجمة السابقة تماماً. وقد قام الباحث بتعريب كتاب أندرو نيومان إلى العربية عن ترجمة مؤسسة شيعه شناسى الفارسية مع الأخذ بنظر الاعتبار الأصل الإنجليزي وقد توخى الدقة والسلاسة في ترجمته.

وبعد هذا التعريف اليسير بكتاب أندرو نيومان، فلنبداً بنقاط قوة الكتاب وفي صدرها تقع جراءة المؤلف في نقد أهم مصدر من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، فقد فتح باباً مهماً في مجال البحث العلمي ألا وهو الدراسات الحديثية التي قلّ ما تطرّق الباحثون في بلداننا العربية والإسلامية لمثل هذه الدراسات وهذا المجال البحثي. ولعل السبب في هذا الأمر هو ما يتمتع به الحديث من قدسية في نفوس المؤمنين، إلا أن هذا الأمر يجب أن لا يصبح حاجزاً لعدم دراسة المجاميع الروائية المختلفة وظروف نشأتها وجمع تلك الأحاديث فيها وظروف مصنفها وتلقيهم للحديث وتأثرهم بالتيارات الفكرية المختلفة السائدة في أزمانهم وغيرها من الأمور المهمة، فالكشف عن مثل هذه الأمور الهامة إضافة إلى أنه يؤدي إلى توسع نطاق الدراسات الحديثية وكثرة التخصصات العلمية فيها فإنه يوضع معالم تلك الروايات والظروف التي تسببت في جمعها وصدورها بواسطة المحدّثين الأوائل وكيفية انتقائها من قبل أصحاب المجاميع الروائية من بطون الكتب والمسانيد والأصول وغيرها من الأمور الهامة في هذا السياق.

ومن الأمور التي امتازت بها هذه الدراسة هو محاولة المؤلف الكشف عن وضع البيئة التاريخية والتطورات السياسية في مدينتي قم وبغداد وتأثيرهما على نشأة وتدوين هذه

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

المجاميع الروائية الشيعية المبكرة. فقد خصّص ثلاثة فصول قبل البدء بأصل الدراسة بين خلالها الأوضاع السياسية والفكرية لفئات المجتمع المختلفة في بغداد وتأثر وضع المدينة العام والشيعية خاصة بمجمل الثورات التي كانت تقع في العراق والمشرق الإسلامى وصعود وهبوط الشيعة في المناصب الحكومية وتأثيرها على وضعهم العام مع التركيز على الإنجازات العلمية لبعض الأضر الشيعية العلمية التي امتهنت السياسة أصلاً من قبيل بنو نويخت وبنو الفرات، ثم بحث الوضع السياسى والفكرى لمدينة قم في فصل مستقل تطرّق خلاله لأوضاع المذاهب السنية في المشرق الإسلامى ثم الشيعة والتشيع من تلك الرقعة وصولاً بالمذهب الإمامى، ثم ذكر استقلالية المدينة وأنها كانت ملجأً للشيعة بواسطة تأثيرها بهجرة قبيلة الأشعريين، ثم ذكر الصراع السياسى بينها وبين الدولة العباسية في بغداد وأثر تلك الصراعات داخل دار الخلافة في بغداد في تتبع الوضع العام داخل مدينة قم واضطهاد سكانها من قبل العاصمة. ونرى فيما بعد أنه كان يستخدم ما توصل إليه من نتائج في تحليله لوضع هاتين المدينتين كونه قارن في كتابه بين المجاميع الروائية الثلاث الصادرة في بيئة هاتين المدينتين فنرى تحاليله هذه مؤثرة في استنتاجاته النهائية للفصول التالية وداخلها أيضاً، إلا أننا لا نتفق مع مجملها فهي تحتوى على مغالطات علمية تتم عن جهل المؤلف بحقيقة الوقائع التاريخية والسياقات الفكرية في المذهب الإمامى وجهله باللغة العربية الذى سناقش جميعها لاحقاً.

أما عن الموارد التي أخفق فيها المؤلف فهي كثيرة يمكننا أن نجمها في النقاط

الآتية:

١. استفدت في نقد كتاب أندرو ج. نيومان من النقد الذى كتبه الباحث قاسم جوادى صفرى على الترجمة الفارسية للكتاب الصادر عن مؤسسة شيعة شناسى في قم سنة ٢٠٠٧ مع تصرّف وإضافات. ينظر: نيومان، اندرو جى.

١- مكوث الكليني في بغداد:

من جملة الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها المؤلف وبنى عليها الكثير من استنتاجاته الخاطئة هي المدة التي بقي فيها الكليني في بغداد بعد هجرته لها؛ إذ شمل الكتاب على أبحاث محورية تدور حول كتاب الكافي ومؤلفه الكليني؛ فقد كتب الفصل السادس عن كتاب الكافي وخصّصه لدراسة قسمي الأصول والروضة منه، ثم عقد مقارنة بينه وبين بصائر الدرجات للصفار في مبحث الإمامة في الفصل السابع، ثم أتمّ دراسة كتاب الكافي في الفصل الثامن من كتابه وهو أوسع فصول الكتاب وأكبرها حجماً وقد خصّصه لقسم الفروع من الكافي. والمتتبع لأبحاث الكتاب يرى وكأنّه تعمّد هذا الخطأ الفاحش ليستنتج أن الكليني ربيب مدرسة قم وكتب كتابه في بغداد، إذاً هو ينتمي إلى كلا المدرستين الفكريتين الإخبارية والأصولية، فقد افترض أن الكليني عاش عشرين سنة من حياته في بغداد ولم يؤشر إلى أي مصدر تؤكد هذه المعلومة المهمة إن صحّت ليني عليها استنتاجاته الخاطئة القائلة أن الكليني استطاع في أجواء بغداد وخطها الفكري الداعي إلى إدخال العقل في عملية فهم النص الديني ووجوب تقسيم المجتمع حسب فهمهم للنص الديني، استطاع أن يوصل تصورات النخب القميّة عن أمور كان يراها تهمةً للمجتمع الشيعي في بغداد، وأنه أراد من خلال وضعه لكتابه الكافي أن يكون دليلاً شاملاً لخصائص المذهب الإمامي المتميزة في بيئة بغداد ومجتمعها وأن تلك الخصائص كانت تشكك في العقلانية الشيعية؛ تلك الإشكالية الأخرى التي سناقشها في المورد الآتي.

وبالمجمل وعند رجوعنا للمصادر وجدنا أن الكليني عاش آخر سنتين من حياته فقط بناءً على ما ورد في نصّ نقله الشيخ الطوسي في الاستبصار الذي أكد أنه سكن بغداد في منطقة يقال لها درب السلسلة باب الكوفة وحدث بها سنة ٣٢٧ هـ^١

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. الطوسي، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣.

٢- وصف الكليني بأنه من العلماء الذين يدعون لخلاف العقل والتعقل:

من أهم استنتاجات المؤلف الخاطئة هو ما كتبه عن أول أبواب أصول الكافي وهو كتاب العقل فقد ذكر دونما تمحيص وتدقيق أن وضع هذه الروايات فى بداية كتاب الكافي هو ذمٌ صريح للتيار الأصولي التعقلى. فقد ذكر فى بعض فقراته محلاً:

«وقد ورد فى هذه الأحاديث أن العقل هو أول مخلوق خلقه الله وأنه لا يمكن للإنسان أن يجتهد فى الحصول عليه، بل هو موهبة أعطيت له، وأنه مع العلم - والمقصود من العلم هو الذى جاء عن الأئمة عليهم السلام - سيوصل الإنسان إلى المعرفة الحقيقية وهى معرفة الله عزوجل. وعليه فإن العقل والعلم بالنسبة للمؤمن أمرين مقترنين بالضرورة وباستمرار، وأن العقل لوحدة دون علوم الأئمة عليهم السلام غير كافٍ، كما أنه لولا العقل لم يُدرَك العلم...»^١

وفى معرض الإجابة نقول: هل أن العقلانيون ومن يدعى إشراك العقل فى قراءة النص الدينى يرون أن العقل يف بجميع الأغراض تلك؟ وهل هناك شخص مسلم شيعياً كان أم سنياً أم من المعتزلة أم الأشاعرة أو الماتريديّة وغيرها من الفرق الإسلامية يدعى أن العقل كافٍ لوحده.

ثم ذكر أن العقل والعلم بحسب روايات الكافي رقيقى المؤمن بالضرورة وباستمرار، فلا نعلم أى أمر مخالف للعقل هذا الذى فيه كمال الإنسان؟ بل أن وفق روايات عديدة داخل الكافي نفسه أن العمل بأوامر الله عزوجل من غير التعقل أمر لا قيمة له أساساً،^٢ إضافة لما نقله الكليني من روايات كثيرة فى باب «حجية العقل». فوقفاً لوحدة منها قال الإمام الكاظم عليه السلام مخاطباً هشام بن الحكم:

«يا هشام! إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة؛ فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة العقول».^٣

١. ينظر: Newman, the formative period, p. 102.

٢. الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ١١-١٢، ح ٨.

٣. الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ١٦، ح ١٢.

إذا نرى بوضوح أن المؤلّف لم يبذل جهداً في التعمّق في معاني جميع الروايات أو أنه لم يستطع أن يفعل هذا الأمر وأن يذكر هذه الأدلة التي تبطل آرائه وفرضياته الخاطئة تجاه الكافي ومصنّفه الكليني، فهل مجموع روايات كتاب العقل في أصول الكافي كانت في صدد نفي العقل أم أنها بيّنت المكانة السامية للعقل والتعقل والمعارف الدينية المرتبطة بالوحي.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وعند تحليله لروايات كتاب التوحيد من أصول الكافي البالغة عددها ٢١٢ رواية ادعى أيضاً أن هذه الروايات لا زالت تحتوى على خصائص أهمّها أنها ضدّ العقل والتعقل، فلا نعلم بماذا استدلّ على هذا الأمر. وعلينا تذكيره أنه قام بوصف بعض روايات هذا الكتاب من أصول الكافي التي فيها أبرز معالم التعقل والعقلانية عند الشيعة الإمامية عندما درس مباحث التوحيد الكلامية وهي التي أوردها الكليني نفسه فمن جملة ما ذكره نيومان عن أصول الكافي نطالع هذه السطور:

٤٧

«وفي عليه السلام روايات جاءت في الأبواب الأولى من كتاب التوحيد، جرى التأكيد على أن الذات الإلهية لا تدرك إلا في إطار إدراكه وفهمه... (ص ٨٢-٨٥). ففي أحد هذه الروايات التي رواها علي بن إبراهيم بإسناده عن هشام بن الحكم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «هو شيء بخلاف الأشياء... غير أنه لا جسم ولا صورة... ولا يدرك بالحواس الخمسة» (ص ٨٣، ح ٦). وفي أحد الأبواب ورد النهي عن البحث في كميّات الله عزّ وجل (ص ٩٢-٩٤). وفي ١٢ رواية ورد رفض إمكانية رؤية الله عزّ وجل (ص ٩٥-٩٨). فقد جاء في رواية عن علي بن إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن سنان وفي أخرى عن عدة من الرواة عن أحمد بن محمد البرقي - على الترتيب - أن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ذكرا أن هذه الرؤية تحصل بالقلب وبواسطة حقائق الإيمان (ص ٩٧، ح ٥ و ٦)....»^١

١. ينظر: Newman, the formative period, p.116

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثني عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

أليست هذه الروايات تدعوا إلى التعقل؟ وأى من هذه الروايات تشير لخصائص ضدّ التعقل واستخدامه فى أصول ومباني التوحيد؟! ولو نظر المؤلف فى كتب الشيعة والمعتزلة الكلامية سوف لن يجد أى فرق بين هذه الروايات وتلك المباحث. وفى معرض حديثنا عن هذه المباحث الهامة علينا أن نذكر المؤلف بروايات أخرى هامة وردت فى الكافى تنفى أقواله هذه تماماً. فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن الله خلّو من خلقه وخلقه خلّو منه، وكلما وقع عليه اسم شىء فهو مخلوق ما خلا الله»^١.

وسئل الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: أيجوز أن يقال: إن الله شىء؟ فقال:

«نعم، يخرج من الحدّين: حد التعطيل وحد التشبيه»^٢.

وهنا وفى مسك ختام كلامنا عن الأدلة المهمة والدامغة فى أحاديث الكافى فى باب وجود المباني العقلية التى تثبت مختلف مباحث التوحيد عند الشيعة الإمامية بخلاف ما رأى المؤلف نذكر نزراً يسيراً من أحد خطب الإمام على عليه السلام الجامعة فى التوحيد، فقد روى الكلينى عن محمد بن أبى عبد الله بإسناده عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس فى حرب معاوية فى المرّة الثانية، فلمّا حشد الناس قام خطيباً فقال:

«... فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذى ليس له وقتٌ معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود، سبحان الذى ليس له أول مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته»^٣.

١. الكلينى، الأصول من الكافى، ج ١، ص ٨٣، ح ٥.

٢. م. ن.، ج ١، ص ٨٥، ح ٧.

٣. م. ن.، ج ١، ص ١٣٤-١٣٦، ح ١.

وليس شيء أبغ من احتواء هذه الخطبة على مباني أصول التوحيد وإثبات تلك الأصول بالأدلة العقلية مما قام به الكليني بشرح مفردات ألفاظها ومقاطع من جملها؛ فلو دقق المؤلف في هذه الجمل المباركات وهذه الروايات وتفحص أرجاء الكتاب لالتمس مبادئ العقل والتعقل في أرجاء كتاب الكافي ولم ادعى أن الكليني كان ضد العقل ومبادئه وأصوله.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٤٩

٣- الوضع العقائدي - السياسي لمدينة قم:

تطرق المؤلف في كتابه خاصة في الفصل الثالث لمناقشة أوضاع مدينة قم الدينية والسياسية طيلة قرنين من الزمن أو أكثر. وافترض أن تلك الأوضاع والمسارات السياسية كانت بنفس الوتيرة والشاكلة من الاضطهاد والمتاعب، فقد أراد من خلال التطرق للوضع السياسي والديني لمدينة قم في مدة قرنين من الزمن أن يستنتج أثراً دينياً كلامياً واحداً أثر حسب زعمه على روايات هذه الكتب الثلاثة ألا وهو النبرة والصبغة الإخبارية التي تميّزت بها قم عن بغداد وباقي مراكز التشيع في تلك القرون من دون تعمق في تفاصيل مدرسة قم الكلامية والفكرية والظروف التي أثّرت على جمع الحديث في تلك المدرسة؛ فأصرّ مرة أخرى على أن تصنيف الكافي مثلاً كان فيه الدليل الكافي على التشكيك في تمسك البغداديين بالعقل ومستلزماته والتأكيد على ضرورة الالتزام بالعلم اليقيني المتمثل بوصايا الأئمة عليهم السلام واقوالهم.^١ ثم استدرك قائلاً: أن الصفار جاء بهذا الاستدلال القائل بوجوب العمل بروايات الأئمة عليهم السلام بوصفها العلم اليقيني فقط من أجل القميين.^٢ وهنا يجب أن نتساءل أين ذكر الصفار أنه كتب كتابه من أجل شيعة قم؟ وأين ذكر أن التطورات السياسية في المدينة تطلّبت مثل هذا الأمر؟ فالمؤلف يحلل كيف يشاء! فخلاًفاً لما ذكر المؤلف أن هناك تياراً سياسياً كلامياً واحداً كان في قم وأنه اعتبر الصفار ممثلاً عن الغلاة فيه، نقول إن هناك تياراً معتدلاً نشأ في مدرسة قم الكلامية في مقابل توجهات الغلاة.

١. ينظر: Newman, the formative period, p. 113.

٢. ينظر: Op. cit. p. 113.

◆ الحقبة التأسيسية للتشيع الاثني عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

فهناك تأليفات لشخصيات علمية قيّمة فى الرد على الغلاة على غرار مؤلفات البغداديين فى هذا الاتجاه. فمثلاً كتب سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعري القمي ومحمد بن أورمة القمي كتابين فى الرد على الغلاة، وهذا الأخير كان قد اتهم من قبل القميين بالغلو حتى خرج توقيعاً عن الإمام الهادى عليه السلام فى الدفاع عنه وردّ تهمة الغلو.^١

يمكننا القول أن التيار الغالب فى قم كان يرفض بشدة توجهات الغلاة حتى أنهم أصبحوا يحاربون تياراً فكرياً مهماً نشأ فى المدرسة الإمامية أطلق عليهم فيما بعد بالمفوضة الذى يشكل امتداداً للغلاة فى النظر إلى آل محمد عليهم السلام على أنهم مخلوقات فوق البشر، ذوو علم مطلق يشمل علم الغيب، ولهم القدرة على التصرف فى الكائنات، فالمفوضة لا تعتبر النبى والأئمة عليهم السلام آلهة، لكنّها تعتقد أن الله تعالى فوّض إليهم أمور الكائنات من الخلق والرزق، وأعطاهم صلاحية التشريع وبالتالي فإنهم من الناحية العملية يقومون بجميع الأعمال التى يفعلها الخالق مع فارق واحد وهو أن قدرة الخالق أصيلة، بينما قدرتهم تابعة لقدرته وأنها ترى قدرة الأئمة عليهم السلام فى طول قدرة الخالق - بحسب الاصطلاح الفلسفى - وليس فى عرض قدرته كما ادّعى ذلك الغلاة الملحدون.^٢

فأين تحليله الذى ادّعى فيه أن القميين كانوا يرون أن الأئمة عليهم السلام لديهم علم خارق للعادة أو غيبى أو أنهم لديهم صفة فوق مستوى البشر حتى ادّعى أن روايات الكافى شكّكت فى ميول النخب الشيعية البغدادية فى التمسك بالعقل وادّعى أن الكافى بوصفه نتاج فكر المدرسة القمية دعا إلى ضرورة الرجوع لعلوم الأئمة عليهم السلام بوصفها المصدر الوحيد للعلم^٣، فأين توجه العلماء فى الأخذ بمصدرية القرآن الكريم والعلوم المنبثقة عنه أولاً، ثم أين توجه علماء قم الذين كانوا يرفضون اعتبار أية صفة غير بشرية وخارقة للعادة للأئمة عليهم السلام فضلاً عن دعوى علمهم بالغيب؛ فهو غفل أو تغافل أن ينظر إلى معانى

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

١. الخوئى، أبو القاسم الموسوى، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج ١٦، ص ١٢٥.

٢. المدرسى الطباطبائى، تطور المباني الفكرية للتشيع فى القرون الثلاثة الأولى، ص ٣٧.

٣. ينظر: Newman: the formative period, p. 113.

كثير من الروايات التي تثبت رأينا هذا وإليكم واحدة من أهمها: روى الكشي عن أحمد بن علي القمي السلولي قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى عن صفوان عن عنبسة بن مصعب، قال: قال لي أبو عبدالله [الصادق عليه السلام]:

«أى شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعته يقول: إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه ولا تنس، وإنك تعلم الغيب، وإنك قلت له: هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمين على أحيائنا وأمواتنا، قال: لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده، وأما قوله: إنني قلت أعلم الغيب، فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له...»^١

فهذه الرواية وأمثالها صريحة في نفي علم الغيب وحتى «الولاية التكوينية» عن أهل البيت عليه السلام. والملاحظ أن جل رواتها من القميين؛ فمن هنا نرى أن رؤية المؤلف للبيئة الفكرية والعقدية القميّة لم تكن شاملة، فقد وقف علماء ورواة الحديث في مدرسة قم موقفاً حازماً أمام أفكار المفوضة والغلاة حتى أنهم بسبب هذه المواقف اتهموا من قبل البغداديين بالتقصير فقال عنهم الشيخ المفيد^٢:

«قد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمة عليه السلام عن مراتبهم ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم ورأينا في أولئك من يقول إنهم ملتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه»^٢.

أمّا فيما يتعلق بالوضع السياسي لمدينة قم فإن المؤلف أكد على أن المدينة كانت ترزح تحت ضغط وظلم الدولة العباسية طيلة هذه المدّة وكانت تحت تأثير الفرق الشيعية

١. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق جواد القوي الأصفهاني، ص ٢٤٦، ح ٥١٥.

٢. المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية (ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد)، ج ٥، ص ١٣٥-١٣٦.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

الأخرى مثل الزيدية فى طبرستان والإسماعيلية، وفى معرض الردّ نقول: أولاً أن إثبات هذا الأمر من غير الممكن خاصة إذا علمنا أن معظم وزراء العباسيين فى هذه المدّة كانوا من الشيعة ومن عوائل مرموقة كالنوبختيين وبنو الفرات وغيرهم، وأمّا ما تحدّث به من تأثر مدينة قم لضغوطات فكرية من قبل التيارات الشيعية الأخرى فلا دليل على هذا الأمر أيضاً؛ إذ كانت قم معروفة باستقلالها الفكرى وهويتها الإمامية كما أكد على هذا الأمر المؤلّف بنفسه فى أكثر من مرّة.

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،

العدد الثانى،

صيف ٢٠١٩

٤- الاتجاهات الفكرية فى بغداد:

تطرّق المؤلّف فى أماكن عدّة لبغداد وتحدّث عن التيارات الفكرية التى سادت المدينة فى زمن بحثه، إلا أن الكثير من نتائجه كانت غير دقيقة كونه لم يبحث فى جميع ثنايا تلك الاتجاهات ولم يدرس أبعادها المختلفة سيّما وأن بغداد هى مركز الخلافة وعاصمة المسلمين، فكان لا بدّ له أن يولى اهتماماً خاصاً بدراسة تلك الخطوط الفكرية دراسة شاملة، فضلاً عن تلك التى عمل عليها فى الفصلين الأول والثانى من كتابه عندما درس الوضع التاريخى ونشأة التشيع بشكل عام فى بغداد والوزارات الشيعية فيها مع التركيز على دور أسرة بنى نوبخت فى أحداث بغداد وعلى ساحتها العلمية. وفى هذه العجالة نتطرّق لبعض ما أوردها من تحاليل خاطئة عن وضع بغداد الفكرى والاتجاهات الفكرية المختلفة فيه سيّما الفكر الإمامى.

حاول المؤلّف فى أماكن عدّة أن يبرهن أن التيار العقلانى هو الخط الفكرى الوحيد السائد فى الوسط العلمى الإمامى فى بغداد، فلا نعلم وفق أية إحصائية أو أى بحث علمى مستدل علميّ مثلاً أن شيعة بغداد تشكل أى نسبة من عدد سكان بغداد فى زمن بحثه؟ هذا أولاً، وثانياً هل استطاع أن يقدّم إحصائية بعدد علماء بغداد الإمامية حتى يجزم هكذا أن التيار العقلى هو الوحيد فى أوساطهم العلمية، وفى النهاية لم يقدّم أى وصف لمعالم هذا

الاتجاه الفكري الذي يدّعيه، فهو يدّعي بعض الأمور الخاطئة ويجمعها مع بعض ليستنتج أموراً خاطئة.

صحيح أن بغداد شهدت غلبة التيار الأصولي الشيعي الذي يدعوا إلى إدخال العقل في عملية الاجتهاد، وشهدت تطور علم الكلام عند الإمامية على شكل مدرسة كلامية مستقلة منذ زمن هشام بن الحكم (توفي في حدود ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م) الذي استقرّ في بغداد؛ فهو من أبرز أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وصولاً بزمن الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) التي بلغت المدرسة ذروتها، إذ أحدث بمهاراته في المحاورات الكلامية والدروس التي كان يلقيها على الناس ثورة علمية، فقد ترك جماعة من الناس مذهبهم ودخلوا في المذهب الإمامي نتيجة لقدرته الكلامية ومنطقه القوي. وعلم الكلام كما هو معروف علم يقوم على أساس الاستدلال العقلي ومهمته الدفاع عن عقائد خاصة في إطار مذهب معيّن أو سياقات فكرية أقل حجماً.^١

كما شهدت بغداد بروز الصناعة الفنيّة في البحث الفقهي ألا وهي عملية الاستنباط؛ فهي صناعة علمية لها أصولها وقواعدها وانفصل البحث الأصولي عن البحث الفقهي وأُفرد بدراسات ومطالعات خاصة، وقام البحث الفقهي على نتائج هذه الدراسات والمطالعات بعد ما كان يقتصر على نصوص الكتاب وما صحّ من السنة^٢ كما حصل تفرّيع في المسائل الفقهية واستحداث فروع جديدة لم تتعرض لها نصوص الروايات حيث كان البحث الفقهي - فيما سبق هذا الدور - لا يتجاوز حدود بيان الحكم الشرعي باستعراض الروايات الواردة في باب خاص.^٣ وظهر في مدرسة بغداد أيضاً الفقه المقارن وعلم الخلاف من جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على

١. عمار سالم الحمد، مدرسة بغداد العلمية الإمامية في القرن الخامس نشأتها، علماءها معطياتها، ص ٤٦.

٢. م. ن.، ص ١٥٦.

٣. م. ن.، ص ١٥٧.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندروج. نيومان؛ عرض ودراسة

بعض^١، كما ظهرت مسألة الإجماع بين فقهاء المذهب على مسألة من المسائل فى عصر واحد واعتبر دليلاً على وجود نصّ شرعى يجوز الاعتماد عليه، إذ لا يمكن أن يجمع فقهاء المذهب على حكم من دون وجود نص على ذلك أو دليل على سلامة الحكم.^٢ وشهدت مدرسة بغداد أيضاً تقنياً لعملية الاستنباط والاجتهاد فى الفقه الإمامى وتوضيح مبانيه ومناهجه فى كل من أصول الفقه والحديث والرجال. وقد جعلت مصادر الاستنباط وأدلة الفقه فى كتب الأصول فى هذا الدور من المدرسة البغدادية أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل. فالإجماع أريد منه ما يكون بضمنه قول المعصوم، أو يُستكشف منه قوله ولو بدلالة عقلية، فيكون كاشفاً عن السنة، كما أن العقل أريد منه حكمه البديهي اليقيني لا الظنون والأقيسة والاستحسانات.^٣

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

٥٤

كما عرفت بغداد تطبيق المنهج الفقهي بشكل متطور وموسع وفى جميع الأبواب الفقهية خاصة على يد الشيخ الطوسى رحمته الله فهو لم يكتف بتدوين القواعد الأصولية وتوفير أدوات الاستنباط الأخرى اللازمة لتقنين عملية الاستنباط وإنما سعى وبذل جهوداً كبيرة لتطبيق المنهج الاستنباطى على أسس علمية دقيقة. وهذا ما قام به الشيخ الطوسى فى سفره الخالد «تهذيب الأحكام» حين قرّر شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد شرحاً استدلالياً ينحو باتجاه إثبات الآراء الفقهية الواردة فى المقنعة أو إثبات آرائه الفقهية. أما مشكلة الأخبار المتعارضة فقد عالجه الشيخ الطوسى فى كتابه «الاستبصار»^٤ والملاحظ أن هذين الكتابين عدّما فيما بعد من الكتب الروائية المعتمدة عند الإمامية وهما ذات صبغة فقهية أكثر من كتاب الكافى ومن لا يحضره الفقيه بشكل أقل.

١. م. ن.، ص ١٥٨.

٢. م. ن.، ص ١٦١.

٣. م. ن.، ص ١٦٥-١٦٦.

٤. م. ن.، ص ١٦٦.

وبهذا وفرّ الشيخ الطوسي ومدرسة بغداد كل أدوات الممارسة الفقهية الاجتهادية نظريةً وتطبيقاً، وهذه خطوة كبيرة وعملاقة في مجال الفقه الاجتهادي، خرج من خلالها الفقه الشيعي عن حدود استعراض السنّة ونقل الحديث إلى المجال الأوسع والأعمق.

كما اختصت مدرسة بغداد إضافة إلى ما قامت به من جمع وتدوين الروايات المختلفة وخاصة الفقهية منها في مجاميع معتبرة بأبحاث مختلفة في مختلف جوانب الحديث نفسه بخلاف ما ادّعى المؤلف، فقد اهتمت بالعقل والنقل معاً واتخذت نهجاً وسطاً في البحث الفقهي، فقد مثل هذا الاتجاه الشيخ المفيد والسيد المرتضى في دور التأسيس. ففيما يخصّ الحديث تبلورت دراسة الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام في تحليل أسانيدها ودلالاتها معاً واعتمدت عملية تقويم السند على أدوات التقويم المتمثلة في مصادر التوثيق الرجالية، وقد وفقّ الشيخ الطوسي في تبني اتجاه أخبار الآحاد على أساس علمي، خلافاً لما اتبعه أستاذه المفيد والمترضى من إنكار حجية أخبار الآحاد واتجاههما إلى الإجماع والعقل.^١

كما اشتهرت المدرسة البغدادية بالنظر لآراء ومناهج المذاهب الأخرى والمقارنة فيما بينها سواء بنحو الفتاوى المجردة أم بشكل موسع واستدلالي، وقد تطوّر هذا الأمر على يد الشيخ الطوسي بنحو أوسع وأشمل وفي كل أبواب الفقه كما يظهر من مراجعة كتابيه: الخلاف، والمبسوط. وعرفت بغداد بفتحها لباب الحوار مع المذاهب الأخرى برحابة صدر معتمدة أسس الحوار الهادف الرصين وخاصة الشيخ المفيد الذي عرف عنه قدراته الهائلة في السجال العلمي والنقض والإبرام وخوض النقاشات الساخنة مع رؤوس ورموز المذاهب الكلامية والفكرية الأخرى، الأمر الذي انعكس على سائر النشاطات العلمية لدى الشيخ المفيد ومنها النشاط الفقهي.^٢

١. م. ن.، ص ١٦٧-١٦٨.

٢. م. ن.، ص ١٦٨. وللمزيد عن هذه الحوارات ينظر: نائر عباس هويدى النصاروى، المناظرات الكلامية عند الإمامية الشيخ المفيد أنموذجاً، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثني عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

وظهر لأول مرة في هذا العصر التأسيسي وتحديدًا في مدرسة بغداد ملامح أثر الرأى والاجتهاد ودوّنت كتب علم الأصول بشكل كامل ومستقل مثل كتاب «الذريعة إلى أصول الشريعة» تأليف السيد المرتضى علم الهدى وأصبح الفقه الإمامى يعرف بفقه النص؛ لكن أن نرى أن مدرسة بغداد كانت ترفض النصوص الروائية لصالح التحليل العقلى^١ فهو تحليل غير واقعى وغير دقيق إذ أن الاجتهاد عند الإمامية هو اجتهاد فى فهم النص وتطبيقه على موارد ومصاديقه، خلافاً لاجتهاد الرأى فى المذاهب الإسلامية الأخرى الذى كان يتبنى تجاوز النصوص وتجاوز دلالاتها إلى الموارد التى لا تمت إليها بصلة، إلا على أساس الاستحسان والقياس.^٢

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

٥- أبحاثه فى الروايات وأسانيدها:

من المعضلات المهمة التى يواجهها القارئ المتخصص فى حقل الحديث عامة والفكر الإمامى خاصة عند قراءته لكتاب الباحث نيومان هى هذه القضية، فلا نعلم أى معيار اتخذ فى ذكره للرواة المختلفين عند فقد أسانيد روايات هذه الكتب الثلاثة التى بحث فيها، فهو لا يذكر أى معيار ويستنتج ما يشاء. نعم ينقل عن أساتذته المستشرقين الغربيين تقدم بعض الرواة من خلال مصدر إسلامى واحد دون الرجوع إلى أصل ذلك المصدر ومقارنته مع باقى كتب الرجال المتأخرة للحصول على استنتاج شامل ووافى لشخصية هؤلاء الرجال الذين ادّعى أن وجودهم طعن فى سلامة بعض الروايات التى قام بنقلها وترجمتها فى كتابه. فكان عليه عند ذكره وولوجه فى هذه المباحث الرجالية أن يقدم رؤية شاملة عن مجموع رواة هذه الكتب الثلاثة، هل جميعهم من القميين؟ أم من أهل بغداد؟ أم كوفيين أم مدنيين؟ هل روى هؤلاء القميين عن القميين أنفسهم؟ أم أخذوا الروايات عن آخرين؟ ما هو أدوار هؤلاء الرواة الذين ذكرهم؟ فالمؤلف لم يتطرق لمثل هذه الأبحاث المهمة ليجعلها لبنة أساسية فى نقده لهؤلاء الرواة وأسانيدها هذه الروايات.

١. ينظر: Newman, the formative period, p. 157.

٢. الحمد، مدرسة بغداد العلمية، ص ١٧٣.

٦- اعتماده على المراجع الثانوية:

سيرى القارئ المتفحص أن غالبية استنتاجات المؤلف اعتمدت على المراجع الثانوية وكتابات الغربيين الناقصة والمغلوبة أصلاً في تحليلها، وهذا الأمر أدى إلى ضعف مستوى بحثه، فعندما يجرى عملية إحصائية في تعداد الروايات في هذه الكتب عن موضوع ما يرجع إليها وإلى المصادر الأولية المعتبرة، لكن عندما يعمد إلى الاستنتاج والتحليل وهو الأهم في مجال بحثه نجده يعتمد على المراجع الثانوية والمترجمة، فعندما تنظر لهوامشه وارجاعاته نجد أنه أرجع منها كثيراً لباحثين من أمثال الحسين المدرسى الطباطبائي، وائل حلاق، فضل الرحمن، إيثان كوهلبرغ، إجناس جولدتسيهر، محمد على أمير معزى، سيد أمير أرحمند، حامد إلغار، سيد وحيد أختر، س. إ. بازورث، د. م. دونالدسون، فهؤلاء وإن كانوا من كبار الباحثين في الغرب إلا أن كتبهم لم تعد من المصادر الأولية وأن آرائهم ليست بحجة على المذهب الإمامي.

وهناك كثير من التحاليل غير الدقيقة في بطون الكتاب وطبّات صفحاته وهوامشه تركها للمختصين؛ فهي واضحة الدلالة وإن تركها كان بسبب عدم الإطالة والتوسع في حجم الترجمة، وتلك التي كانت بحاجة إلى استدراك وتبيين ووضعناها في الهامش ورمزنا في نهايتها بكلمة المترجم ما بين قوسين.

النتيجة

وفي نهاية الأمر لا بد لنا من جمع ما توصل إليه بحثنا من نتائج وفق ما ورد فيه فنقول: أن المستشرقين ومن خلفهم من الباحثين الغربيين اهتموا بالدراسات الإسلامية والشيعية خاصة منذ منتصف القرن الماضي، وقد ظهرت بعض الدراسات في الحديث الشريف وظهوره وتطور كتابته لدى مختلف المذاهب الإسلامية، فقد بدأ هذا الأمر بالنسبة للمذاهب الإسلامية الأخرى قبل هذه الفترة بكثير، فكان جيل من المستشرقين الرواد في الكتابة في هذا الشأن من قبيل إجناس جولدزيهر وجوزيف شاخت وليوني كايثاني

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

وغيرهم من المستشرقين. إلا أن الاهتمام بالتشيع والكتابة عنه بدأ مؤخراً منذ أقل من قرن من الآن وبالطبع فإن من كتب فى الحديث الشيعى من المستشرقين والباحثين الجدد هم أقل بكثير.

فكان الهدف الأساسى من هذا البحث نقد ما كتبه الأستاذ والباحث البريطانى فى الدراسات الشيعية من جامعة إدينبرا البريطانية أندرو ج. نيومان، فكتابه الفريد من نوعه فى دراسة ثلاثة من أقدم المصنّفات الحديثية الشيعية: "المحاسن" للبرقى و"بصائر الدرجات" للصفار القمى و"الكافى فى علم الدين" للكلىنى الرازى وأثر الوضع السياسى والثقافى والفكرى العام عند الشيعة الإمامية سيّما فى مدينتى قم وبغداد والمنهجين الفكرين الغالبين على الفكر الإمامى عامّة منذ العصور الأولى ألا وهما المنهج الأصولى والإخبارى على مصنّفى هذه الكتب الثلاث أى البيّنة التى نشأ فيها، فقد ركّز فى هذا الشأن على إحصائيات أجراها فى روايات هذه المجاميع الثلاث فيما يخصّ بعض الأمور العقائدية الهامة مثل الإمامة وحاول استنتاج بعض الأمور التى تخدم أهدافه التى رسمها فى بحثه.

فكان نيومان جريئاً فى نقد الحديث باعتباره من أقدس النصوص التى لا يتجرأ المسلم فى دراستها ليستنتج منها بعض النتائج التاريخية والفكرية والعقائدية وغيرها، فدراسة الحديث وظروف تدوين المجاميع الروائية المختلفة وظروف تلك العصور التى جرى فيها جمع هذه الروايات التى تأثر بها الرواة فنقلوا مواضع معيّنة ومثلها قد تأثر بها جامعى هذه المصنّفات فجمعوها تحت شاكلة خاصة وغيرها من المواضيع الكثيرة. كما امتاز بمحاولة الكشف عن البيّنة التاريخية والتطورات السياسية فى مدينتى قم وبغداد وأثرهما فى نشأة وتدوين هذه المجاميع الروائية. ومع ما كان يتوخاه من دقّة ومصداقية فى بحثه هذا حاول تصوير صورة نمطيّة مهمّة فى نفسه وهى أن الكلىنى كان قد رفض التعقّل بسبب تأثره ببيّنة قم الإخبارية التى عاش فيها متناسياً ما أورده من أبواب فى فضل العقل والتعقّل والدعوة لهما فى أبواب عديدة فى أصول الكافى دون الفروع ودون

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

أن يبذل المؤلف جهداً في التعمق في معاني الروايات أو أنه لم يستطع أن يفعل هذا الأمر، فلو دقق في عناوين الأبواب على أقل تقدير لوجد أنه قد أخطئ تماماً في استنتاجه هذا، بل نجد أنه قد أورد بعض الروايات التي تدعو صراحة إلى الضد مما استنتجه هو.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

وفي هذا السياق ألا وهو إصرار المؤلف على أن هناك تياران فكريان: أصولي يحكم بغداد وإخباري يحكم قم حصل له خلط آخر عندما ناقش الأوضاع الدينية السياسية والفكرية لمدينتي قم وبغداد. فمثلاً زعم أن النهج الإخباري هو النهج الفكري الوحيد في قم دونما تمحيص، فأجبنا أنه كان مخطئاً تماماً إذ عند التعمق في تفاصيل مدرسة قم الكلامية والظروف التي أثرت على جمع الحديث في مدرسة قم نجد أنه خلافاً لما ذكر هناك تياراً معتدلاً كان قد نشأ في قم مقابل توجهات الإخباريين الغلاة أو "المفوضة" الذين كانوا يرون أن الأئمة عليهم السلام مخلوقات فوق البشر ذوو علم مطلق يشتمل على الغيب ولهم القدرة على التصرف في الكائنات و... فكان توجه هؤلاء ضد اعتبار أي صفة غير بشرية وخارقة للعادة للأئمة عليهم السلام فضلاً عن دعوى علمهم الغيب، فهو غفل أو تغافل أن يرى معاني كثير من الروايات في هذه المجاميع التي تثبت هذا الرأي. كما أنه أراد أيضاً أن يصور بغداد على أنها أصولية بحتة ترفض النصوص الروائية لصالح التحليل العقلي فهو تحليل غير واقعي وغير دقيق، فبغداد عاصمة المسلمين التي لمت شتات جميع الفرق والمذاهب لا يمكن أن يكون الشيعة فيها على رأي واحد ومذهب كلامي متفق هذا أولاً، وثانياً أن الاجتهاد الذي نشأ في بغداد هو اجتهاد في فهم النص وتطبيقه على موارد ومصاديقه، خلافاً لاجتهاد الرأي في المذاهب الإسلامية الأخرى الذي كان يتبنى تجاوز النصوص وتجاوز دلالاتها إلى الموارد التي لا تمت إليها بصلة على أساس الاستحسان والقياس.

◆ الحقة التأسيسية للتشيع الاثنى عشرى: حوار الحديث بين قم وبغداد تأليف الدكتور أندرو ج. نيومان؛ عرض ودراسة

ومما امتاز به الباحث نيومان فى جميع أنحاء كتابه هو فقدانه لمعيار معين عند دراسته أسانيد الروايات لغرض استنتاج معين، فهو ينقل عن أساتذته المستشرقين الغربيين نقدهم لبعض الرواة من خلال مصدر إسلامى واحد دون الرجوع إلى أصل ذلك المصدر ومقارنته مع باقى كتب الرجال المتأخرة للحصول على استنتاج شامل ووافى لشخصية هؤلاء الرجال الذين ادعى أن وجودهم طعن فى سلامة بعض الروايات التى قام بنقلها وترجمتها فى كتابه. كما أنه اعتمد فى كثير من استنتاجاته على المراجع الثانوية الإسلامية وكتابات الباحثين الغربيين الناقصة والمغلوطة أصلاً فى تحليلها، وهذا الأمر أدى إلى ضعف مستوى بحثه، فعندما يجرى عملية إحصائية فى تعداد الروايات فى هذه الكتب عن موضوع ما يرجع إليها وإلى المصادر الأولية المعتبرة، لكن عندما يعمد إلى الاستنتاج والتحليل وهو الأهم فى مجال بحثه نجده يعتمد على المراجع الثانوية والمترجمة.

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

٦٠

المصادر والمراجع

١. الطوسى، أبو جعفر محمد بن الحسن بن على (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق جواد القيومى الأصفهانى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤٢٧.
٢. _____، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أشرف على تحقيقه والتعليق عليه: حسن الموسوى الخرسان، النجف: مطبعة النجف، ط ٢، ١٩٥٧.
٣. الكلينى، ثقة الإسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازى (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، الأصول من الكافى، صححه وعلّق عليه: على أكبر الغفارى، طهران: دارالكتب الإسلامية، ط ٣، ١٣٨٨.
٤. المفيد، ابن المعلم أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام العكبرى البغدادى (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م)، تصحيح اعتقادات الإمامية (ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد)، تحقيق حسين دركاهى، ط ٢، بيروت، دارالمفيد، ١٩٩٣.
٥. الحمد، عمار سالم، مدرسة بغداد العلمية الإمامية فى القرن الخامس نشأتها علماءؤها

معطياتها، النخيل للمطبوعات، ٢٠١٥.

٦. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، تحقيق مؤسسة

آل البيت لإحياء التراث، ط ٥، ١٩٩٢.

٧. العقيقي، نجيب، المستشرقون، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٤.

٨. المدرسي الطباطبائي، حسين، تطور المبانى الفكرية للتشيع فى القرون الثلاثة الأولى،

بيروت، دار الهادى، ٢٠٠٨.

٩. ناجى، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، بغداد و بيروت، المركز الأكاديمى للأبحاث

ومنشورات الجمل، ٢٠١١.

١٠. نيومن، أندرو جى، دوره شكل غيرى تشيع دوازده امامى كفتمان حديث ميان قم

وبغداد، ترجمه مهدي ابوطالبى وديگران، مقابله كز: لطف الله جلالى، ناقد: قاسم جوادى

صفرى، قم، انتشارات شيعه شناسى، ١٣٨٦ ش.

د . المراجع الإنجليزية:

11. Newman, Andrew J., *The formative period of Twelver Shiism Hadith as discourse between Qum and Baghdad*, Curzon, (Richmond-2000).

هـ. الدوريات العربية:

١٢. حبّ الله، حيدر، المستشرقون والسنة النبوية استعراض للشخصيات، الأعمال والرود، بيروت،

مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، العدد: ٥٨، السنة: ١٥، ٢٠١٠.

١٣. العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، الدوحة، مجلة مركز

بحوث السنة والسيرة، مركز بحوث السنة والسيرة، العدد: ٨، السنة: ١١، ١٩٩٤-١٩٩٥.

١٤. مهريزى، مهدي، درآمدى بر مطالعات حديثى خاورشناسان، قم، مجله علوم الحديث،

دانشگاه قرآن وحديث، شماره: ٢٨، سال: ٧، ١٣٨٢ ش / ٢٠٠٣ م.

١٥. النصراوى، نائر عباس هويدى، المناظرات الكلامية عند الإمامية: الشيخ المفيد أنموذجاً،

أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٢.

16. www.ed.ac.uk/profile/andrew-j-newman

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،

العدد الثانى،

صيف ٢٠١٩